تأملات في رحاب آية الأحزاب ٥٣

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ

دروس وفوائد

الدكتور

إبراهيم بن فهد بن إبراهيم الودعان

١٤٤١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــــــة

الحمد لله رب العالمين والصـلاة والسـلام على أشـرف الأنبياء والمرسـلين، نبينا محمد وعلى آله وصـحبه أجمعين، أما بعد: فهذه الورقات : مشـاركة رابعة في مجال التأمّل ، والتدبّر في كتاب الله عزّ وجل ، وهي مُسـاهمة يسـيرة جدا في اسـتنباط الفوائد، والدروس من بعض الآيات الكريمات .

وخطة الكتاب : هذه المقدمة، ثم ذكرتُ الآية ،واسـم السـورة ، ثم الفوائد المسـتنبطة منها .وكل فائدة أكتبها اذكر مصـدرها الذي أخذتها منه في الحاشـية من المكتبة الشـاملة –وهي الأصـل– أومن غيرها ، وقد أعدّل في العبارة قليلا ، أو أُضِيف ، ومالم اذكر مصدره فهو من استنباطي .

وقد اجتهدتُ –قدر اسـتطاعتي– في الاسـتنباط ، واسـتخراج الفوائد ، فإن أصـبتُ فهو من الله سـبحانه وتعالى ، وهذا ما أرجو ، وأسـعى إليه ، وإن أخطأت فمن نفسي ، والشيطان ، وأستغفر الله من زللي وتقصيري .

هذا والله أسـأل أن يجعـل هذا العمـل خالصـاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع بـه كاتبه ، وقارئه.وناشره وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد .

المؤلف

د. إبراهيم بن فهد بن إبراهيم الودعان

ebrahim.f.w@gmail.com

الموقع التجريبي

/http://eb-alwadaan.site123.me

الآية

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ ۖ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ من سورة الأحزاب.

من فوائد الآية :

١- أهميّة الطعام ، وقيمته في حياة الإنسان ، وأنه قوت الأجساد ، وبه تقوم .

٢- الخطاب هنا عام كما يشمل الصحابة ﷺ ، فهو أيضا يشمل المسلمين ، والمؤمنين إلى أن تقوم الساعة.

٣- مكانة النبي ﷺ عند ربه سبحانه .

٤- الدخول للبيوت يحتاج إلى آداب وقواعد .

٥- دخول بيت النبي ﷺ ليس كأحد من البيوت .

٦- الاستئذان أدبٌ إسلامي رفيع .

٧- الحياءُ ، خَصْلَةٌ جميلة ،وخُلُقٌ إسلاميٌّ رفيع .

٨- نعمةُ البصر من الله ، فالمسلم يُسخّر هذه النعمة لما فيه الخير له .

٩- بيوت النبي ﷺ عبارة عن مجموعة غُرف متواضعة جدّا .[1]

١٠- البيوت نِعمة من الله ، تسْتر الإنسان ،وتقيه الحرّ ،والبرد .

١١- الطعام مايطعمه الإنسان سواء أكان مأكولا ،أم مشروبا .

---

(١) تفسير سورة الأحزاب للشيخ محسن قراءتي . إعداد ونشر جمعية القرآن الكريم . الطبعة الأولى ١٤٣٨. ٢٠١٦م . بيروت .

١٢- أهميّة طهارة القلب ، فصلاح القلب صلاح للجسد كلّه .

١٣- النهي عن الدخول هنا للتحريم .

١٤- قوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} نداء للمؤمنين محبّبٌ للنفوس ، وقريب للقلوب من الله سبحانه .

١٥- تربية القرآن لجيل الصحابة ﷺ ؛ ليكونوا قدوة لمن بعدهم .

١٦- بدأت الآية بالنداء لتنبيه المؤمنين .

١٧- هذا التنبيه إشعارٌ بالتوطئة لما بعده ، وتمهيدٌ لما سيأتي .

١٨- عَظَمَةُ هذه الآية فهي مملوءةٌ بالآداب ،والقواعد السلوكية التي تعتبر منهجا يسير عليه المسلم في حياته .

١٩- الآيات تنزل لتكون توجيهاتٌ ،وتنظيماتٌ تُنيرُ الطريق .

٢٠- الإذنُ تصريحٌ للدخول .

٢١- الجلوس والحديث في بيت النبي ﷺ أذيّة له .

٢٢- تحريم أذية النبي ﷺ .

٢٣- تحريم نكاح زوجات النبي ﷺ .

٢٤- خصوصية النبي ﷺ في تحريم نكاح زوجاته من بعده دون المؤمنين .

٢٥- كان من عادة العرب أنهم يستأنسون بالحديث بعد الانتهاء من الطعام.

٢٦- حياء النبي ﷺ .

٢٧- قول الحق لا يُستحيا منه .

٢٨- قوله سبحانه{يُؤْذَنَ لَكُمْ} سواء أكان الإذن من النبي ﷺ ،أم من غيره من أهل بيته .

٢٩- قوله سبحانه :{بيوت} ولم يقل بيتا ، لوجود عدّة زوجات معه ﷺ ؛فكل غرفة تُعتبر بيتا مُستقلا فيه زوجة من زوجاته .

٣٠- قوله:{مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ}فيها إشارة إلى أن الإنسان يأنس بغيره في الجلوس معه ،والانبساط في الحديث . فكلما كان مع مجموعة وليس لوحده، كان أكثر انشراحا وسرورا .

٣١- الإذن بالدخول لا يختص ببيت الرسول ﷺ فقط ،بل يشمل أيضا بيوت الآخرين ، كما نقرأ في سورة النور (لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُواْ) .[٢]

٣٢- قوله:(إِنَاهُ) بمعنى النضوج، أي: نُضُوج الطعام ،فلا يأتي الضيوف باكراً وينتظرون نضوج الطعام.[٣] ولعل هذا الأدب يختلف باختلاف الزمان ، فالآن الضيوف يأتون قبل الطعام ،وينتظرون تقديمه لهم ، وليس في ذلك حرج عند الناس في الوقت الحاضر .

٣٣- الاستثناء في :(إلا أن يؤذن لكم) استثناء من عموم الأحوال التي يقتضيها الدخول المنهي عنه، أي إلا حال أن يؤذن لكم. فالكلام متضمن شرطين هما: الدعوة، والإذن، فإن الدعوة قد تتقدم على الإذن ،وقد يقترنان .[٤]

٣٤- قيل في سبب نزول هذه الآية[٥] ، قال أنس ﷺ : أنّه لمّا تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش ،دعا القوم فطعموا ، ثم جلسوا يتحدَّثون فإذا هو ﷺ كأنَّهُ يَتَهَيَّأُ للقيامِ فلم يقوموا، فلمَّا رأى ذلك قام ، فلمَّا قام ، قام من قام ،وقعد ثلاثةُ نفر، فجاء النبِي ﷺ لِيَدخُلَ فإذا القوم جلوسٌ ،ثم إنهم قاموا فانطلقوا، فجئتُ فأخبرتُ النبي ﷺ أنهم قد انطلقوا، فجاء حتى دخل فذهبتُ أدخل فأَلْقَى الحجاب بيني وبينه؛ فأنزل الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

---

(٢) سورة النور آية ٣٧ .

(٣) من ٢٠-٣٢ مستفاد من تفسير سورة الأحزاب للشيخ محسن قراءتي . إعداد ونشر جمعية القرآن الكريم . الطبعة الأولى ١٤٣٨هـ٢٠١٦م. بيروت .

(٤) فتح القدير للشوكاني ٣٤١/٤ . التحرير والتنوير لابن عاشور ٨٢/٢٢ .

(٥) أسباب النزول للواحدي ص ٣٥٩ . لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ص ١٦٢ .

آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا} الآية. (٦)

٣٥- وجاء في سبب النزول أيضا :عن عمر بن الخطاب قال: قلت: (يا رسول الله لو حُجِبْتُ عن أمهات المؤمنين، فإنه يدخلُ عليكَ البر والفاجر، فنزلت آية الحجاب) . رواه ابن جرير(٧) وغيره.

٣٦- قال ابن زيد في قوله: {وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيماً} ، قال: ربمابلغ النبي ﷺ أن الرجل يقول: لو أن النبي ﷺ توفي تزوّجتُ فلانة بعده، قال: فكان ذلك يؤذي النبي ﷺ ، فنزل القرآن: {وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ} الآية. (٨)

٣٧- قوله: {فإذا طَعِمتم} أي أكلتم طعاماً أو شربتم شراباً {فانتشروا} أي: اذهبوا حيث شئتم في الحال، ولا تمكثوا بعد الأكل لا مستريحين لقرار الطعام في بطونكم {ولا مستأنسين لحديث} أي طالبين الأنس لأجله . (٩)

٣٨- قوله:{ولكن إذا دعيتم فادخلوا}فيه تأكيد للمنع، وبيان الوقت الذي يكون فيه الدخول، وهو عند الإذن .

٣٩- صبر النبي ، وقوّة تحمّله .

٤٠- قوله:(وإذا سألتموهن متاعا) أي:شيئا يُتَمَتّع به،من الماعون وغيره، وقوله: (فسألوهنّ من وراء حجاب) أي: من وراء ستر بينكم وبينهن. والمتاع يطلق على كل ما يُتمتع به .

---

(٦) صحيح البخاري ١١٨/٦ رقم الحديث ٤٧٩١ . ٥٣/٨ رقم الحديث ٦٢٣٩. صحيح مسلم ١٠٥٠/٢ رقم الحديث ١٤٢٨ .

(٧) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري ١٦٤/١٩ .

(٨) المرجع السابق ١٧٠/١٩. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٣١٥٠/١٠ رقم الأثر ١٧٧٦٤ .

(٩) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ٣٩٢/١٥ .

٤١- قوله:(ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ) في هذا أدب لكل مؤمن، وتحذيرا له من أن يثق بنفسه في الخلوة مع من لا تحل له، والمكالمة من دون حجاب لمن تحرم عليه .(١٠)

٤٢- لماذا قال سبحانه:{لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ}وقال:{ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ} ، وبعدها قال سبحانه:{وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ}كرر سبحانه لفظ (النبي) مرتين ، وفي الثالثة قال :(رسول الله) لعل –والله أعلم– أنه في البداية كان في مقام التعليم والآداب،وفي الثالثة كان في مقام التحذير، وبيان الخطورة .لأن نكاح زوجات النبي ﷺ ،وهو رسول الله أشد جُرما ، وأشد خطرا ، وأقوى أذية للنبي ﷺ.

٤٣- قوله: {وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي} أقسم الله بذاته العليّة ليبيّن للمؤمنين خطورة الوضع والتأكيد عليه .

٤٤- أهميّة طهارة القلوب ، وصفائها .

٤٥- فيه من الفقه: أنه لم يستأذنهم ﷺ حين قام وخرج .

٤٦- وفيه أيضا: أنه ﷺ تهيأ للقيام ، وهو يريد أن يقوموا .(١١)

٤٧- كلمة وردت في القرآن جميلة جدا ،ووردت في الشعر فكانت باردة وهي كلمة (يؤذي) . فقد قال أبو الطيب:

تَلَذُّ له المروءةُ وهي تؤذي ... ومن يعشق يَلَذُّ له الغرام

وهذا البيت جميل شريف المعنى ؛إلا أن لفظة (يؤذي) قد جاءت فيه غَثّةٌ باردة ،بينما وردت في القرآن بالغة الروعة ،بادية الكمال ،وذلك في قوله

---

(١٠) من ٤١-٤٤ مستفاد من فتح القدير للشوكاني ٣٤١/٤ -٣٤٣ .

(١١) من ٤٧-٤٨ مستفاد من تعليق البخاري في صحيحه ٥٣/٨ رقم الحديث ٦٢٣٩ .

تعالى: {فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم} . (١٢)

٤٨- قوله:(إذا دُعيتم) مشروعية إجابة الدعوة .

٤٩- لإجابة الدعوة آداب يتحلى بها المسلم .

٥٠- قوله:(فانتشروا) أَدَبُ القرآن ، ولغته الرفيعة ؛ بدلا من قوله: امشوا، أو تفرّقوا ونحو ذلك .

٥١- لا بأس بالاستئناس في الحديث بعد الطعام ، لكن في غير بيوت النبي ﷺ.

٥٢- يُطلق لفظ:(الحديث) على الكلام الذي يدور بين اثنين ، وأكثر .

٥٣- قوله:(ذلكم) أي كلّ ماذكر سابقا في الآية ؛ فإنه يؤذي النبي ﷺ.

٥٤- الدخول بغير إذن ، وانتظار نضج الطعام ، والإتيان إلى البيت بدون دعوة، والبقاء بعد الفراغ من الطعام ، والحديث بعد الطعام ، وتكليم نسائه من دون حجاب،ونكاحهنّ من بعده كلّ ذلك كان يؤذي النبي ﷺ . (١٣)

٥٥- كرر المولى سبحانه لفظ الأذى مرتين ،(يؤذي) ، و(تؤذوا) والأذى كلمة جامعة لما يَلحق الشخص من الضرر ، أو المكروه اليسير . (١٤)

٥٦- بُعدُ المسلم عن مواطن الرِّيَب ، فيه سلامة لدينه ، وعِرْضِه . من قوله:(ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ) .

٥٧- تسمى هذه الآية بآية الحجاب .ومعنى الحجاب : كل ما ستر المطلوب ،أو منع من الوصول إليه ،ومنه قيل للستر :حجاب لمنعه المشاهدة ، وقيل للبواب :حَاجِبٌ لمنعه من الدخول. وأصله جسم حائل بين جسدين ، ثم

---

(١٢) إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين بن أحمد مصطفى درويش ٧٨/٥ .

(١٣) من ٥٥-٥٦ مستفاد من فتح القدير للشوكاني ٣٤٣/٤ .

(١٤) القاموس المحيط للفيروزآبادي ص ١٦٢٥ مادة (أذيَ) . التعاريف للمناوي ص ٤٦ . بتصرّف .

استعمل في المعاني فقيل: العجز حجاب بين الرجل ومراده ، والمعصية حجاب بين العبد وربه. [١٥]

٥٨- طهارة القلوب شاملة لقلوب المؤمنين ، ولزوجات النبي ﷺ .

٥٩- كرر سبحانه كلمة (ذلكم) ثلاث مرات ، ويبدو لي -والله أعلم- بأنه للإلتفات ،والاهتمام ، وزيادة في البلاغة القرآنيّة .

٦٠- مشروعية النكاح من المسلمات ، دون زوجات النبي ﷺ .

٦١- إنّ الإثم يَعْظُم ، بِعِظَم الذنب .فنكاح زوجات النبي ﷺ بعد وفاته ذنب عظيم ؛لذا ترتب عليه الوعيد الشديد ، والإثم العظيم .

٦٢- هذا الدين كامل ، وشامل بأوامره ، ونواهيه ، وآدابه .

٦٣- قوله: (وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ) ثبوت صفة الحياء لله . و(الحَيِيّ) من أسمائه تعالى. (وحياؤه تعالى وصف يليق به، ليس كحياء المخلوقين، الذي هو تغير وانكسار يعتري الشخص عند خوف ما يعاب أو يذم، بل هو ترك ما ليس يتناسب مع سعة رحمته ،وكمال جوده ،وكرمه وعظيم عفوه وحلمه؛ فالعبد يجاهره بالمعصية مع أنه أفقر شيء إليه ،وأضعفه لديه، ويستعين بنعمه على معصيته، ولكن الرب سبحانه مع كمال غناه ،وتمام قدرته عليه يستحي من هتك ستره وفضيحته، فيستره بما يهيؤه له من أسباب الستر، ثم بعد ذلك يعفو عنه ويغفر). [١٦]

٦٤- الإعلام بتعظيم قَدْر الرسول ﷺ ، واحترام جنابه .

٦٥- تطمين قلب الرسول ﷺ ، وإدخال السرور عليه ، لينشرح صدره ، وترتاح نفسه . [١٧]

---

(١٥) المقصور والممدود لأبي علي القالي ص ١٧٣ .

(١٦) الموسوعة العقدية . موقع الدرر السنيّة .

(١٧) من ٦٧-٦٨ مستفاد من بيان المعاني على حسب ترتيب النزول لملا حويش ٤٨٨/٥ .

٦٦- يكفي أن تنتهي الآية عند قوله : {وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا} ففيها التحريم والتحذير .ولكن الله سبحانه أراد تأكيد هذا الأمر الخطير، وتعظيمه، وتقريره في النفوس ، ليكون أقوى تأثيرا .

٦٧- كَرَمُ النبي ﷺ رغم الظروف التي يعيشها هو ،وأصحابه الكرام .

٦٨- لم تكُن بيوت النبي ﷺ فيها حجبة ، أو بوّابين .

٦٩- كان سبب النزول بسبب بعض الصحابة ﷺ ، لكنّ العبرة بعموم اللفظ ، لا بخصوص السبب . فالخطاب أصبح عامّة للجميع .

٧٠- حرص الشيطان على بثّ الشك ، وإثارة الوساوس في النفوس .

٧١- قوله سبحانه:{أطهر لقلوبكم} الطهارة المعنوية ، وتنعكس بدورها على الطهارة الحسّيّة .